

المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي
"تجديد الفكر الاسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي"
24 - 26 ايلول 1995
استانبول - تركيا

الجهاد في فكر النورسي "1873 - 1960"

أ، د . علي الكتاني *

1- مقدمة

ان الدعوة لله والجهاد في سبيل الله واجب كل مسلم ومسلمة، كل واحد حسب مقدرته وامكانياته. فانه عز وجل امر الرسول الكريم سيدنا محمداً: صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وبما ان الرسول، صلى الله عليه وسلم هو قائد هذه الامة والمثال المتبع من طرف كل مسلم، فالامر سار على كل مسلم. وقد بين الرسول الكريم، عليه الصلاة والتسليم، كيفية هذا الجهاد عندما قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، وان لم يستطع فبقلبه، وذلك اضعف الايمان". فاذا هناك ثلاثة عوامل تحدد كيفية هذا الجهاد ومحتواه، وهي:

1- وجود المنكر، ومن اكبر المنكرات محاولة العدو اجتثاث جذور الامة والقضاء عليها ونشر المحرمات وازاحة العبادات.

2- استطاعة الفرد المسلم. فانه عز وجل خلق الخلق وفرق بينهم في الجسم والعقل والعلم ومجابهة الشدائد. والفرد المسلم هو ادرى بمقدرته. فمن يستطيع تغيير المنكر بيده فعليه ذلك، ومن لم يستطيع فليستعمل لسانه. واطع الايمان ان يجاهد الانسان ضد نفسه وينكر في قلبه ما يرى من منكرات ويتحاشى "جهد استطاعته المشاركة فيها.

3- سبيل الجهاد: وهو المحدد في الآية الكريمة اعلاه وآيات اخرى وفي حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم واعماله. بل حياته، عليه الصلاة والسلام، هي الترجمة الحية للقرآن الكريم والتفسير العملي له.

إذاً فالاحداث الكبار والمآسي العظام والشدائد التي توجهها الامة هي التي تفرز كبار

المجاهدين الذين يتميزون على غيرهم في النقاط التالية:

- 1- يتفهم المجاهد العظيم هذه الاوضاع تفهما كاملاً ، ويحدد اولويات جهاده.
 - 2- يكون من الوعي الكافي بحيث يقوم بعمل له نتائج عملية دائمة في صالح الاسلام والمسلمين دون تهور ولا تخاذل.
 - 3- يحدد اولويات جهاده لدرجة يجعل فيها النتائج افضل ما يمكن حسب الوضع القائم.
 - 4- يتحلى بالصبر والايمان بنصر هذا الدين على الاعداء في احلك الاوقات التي يضيع فيها امل العاديين من الخلق فيكون هو صخرة النجاة القائمة، يلتف حولها الغير ، والعلم المرتفع يعيد الامل في النفوس الضائعة.
 - 5- تكون معرفته للقرآن الكريم والسنة النبوية كاملة، فيكون في كل اعماله وانشطته متحلياً حسب جهده بخلق القرآن، متسنناً بسنن المصطفى المختار.
 - 6- يتعدى جهاده فترة حياته في هذه الدار الفانية بتربية الاجيال الطالعة على الاهتداء بهدى رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، والثبات على كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله.
- ومن ابرز هؤلاء المجاهدين الذين عملوا جاهدين على الحفاظ على بيضة هذا الدين ، بديع الزمان سعيد النورسي. رحمه الله، فقد ولد سنة 1289 هـ "1876م" في قرية نورس، احدى قرى ولاية بتليس، بشرق الاناضول، وتوفي يوم الاربعاء 25 رمضان سنة 1379 هـ "1960/3/23" في مدينة اورفة. فيكون رحمه الله عاش في هذه الدنيا الفانية 87 سنة يمكن تجرئتها فيما يخص جهاده الى اربعة مراحل بعد مرحلة التكوين "1873 - 1892م" وهي:

1- سعيد الشاب: 1892 - 1907

2- سعيد القديم: 1907 - 1926

3- سعيد الجديد : 1926 - 1949

4- سعيد الثالث : 1949 - 1960م

ولنرى كل مرحلة من هذه المراحل الاربعة.

2- سعيد الشاب "1892 - 1907":

ولد بديع الزمان النورسي من والدين مؤمنين مسلمين سنة 1298 هـ "1873"، وهما

الصوفي ميرزا والسيدة نورية، وذلك في قرية نورس من قضاء حيزان بولاية بتليس بشرق الاناضول. وتلقى علومه الاولى في قرية طاغ ثم في قرية بيرمس المجاورتين لنورس. وفي سنة 1888، وعمره لم يتجاوز 15 سنة، التحق بمدرسة الشيخ امين افندي ببلدة بتليس ثم مدرسة مير حسن ولي في مكس، ثم مدرسة في واسطان كواش.

ثم بدأ دراسته الدينية بمدرسة الشيخ محمد جلاي بقضاء "بايزيد" في ولاية آغرى. ثم انتقل بين اهم علماء المنطقة، فحضر دورس الشيخ محمد امين ببتليس، ودروس اخيه الملا عبد الله ببلدة شروان، ثم دورس الشيخ فتح الله افندي ببلدة سعرد. فأعجب كل هؤلاء الشيوخ بحدة ذكاء سعيد النورسي وقوة حفظه.

وفي سنة 1992، عندما اصبح سعيد النورسي يافعاً، وعمره لا يتجاوز التاسعة عشرة، اكتمل عوده وتكونت شخصيته واستعد لتلقي العلوم لعامة المسلمين وخاصتهم. اذ رأى ان الجهاد الامثل في ذلك الحين هو محاربة الجهل بين المسلمين بنور العلم. فانتقل الى مدينة ماردين واخذ يلقي دروساً في جامعها. لكن تجمع الناس حول هذا الشاب، ومصلحة حكام الفساد في تجهيل الشعب، جعلت والي المدينة يأمر بطرد سعيد النورسي مخفوراً مغلول اليدين من ماردين وارساله الى بتليس. فوجد كل ترحيب من والي هذه المدينة على عكس والي ماردين، حتى انه استقر ضيفاً في بيت الوالي. فتابع الملا سعيد تعليمه في بتليس بقراءة امهات الكتب، وكذلك بالتلمذة على علماء المدينة، ومن اهمهم الشيخ محمد الكفروي.

وفي سنة 1894 انتقل الملا سعيد الى مدينة وان ، بدعوة من واليها، ودرس هناك الجغرافيا والفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم المحضنة. ولحده ذكائه اطلق عليه هناك لقب بديع الزمان.

وفي وان قرأ بديع الزمان سعيد النورسي خبراً هز مشاعره، ونقله من مرحلة جهاد الى مرحلة جهاد آخر، وذلك ان وزير المستعمرات البريطاني خطب في مجلس العموم ببلاده وبيده نسخة من القرآن الكريم وقال: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع ان نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من ان نزيله من الوجود او نقطع صلة المسلمين به".

فقرر بديع الزمان النورسي حينذاك ان الجهاد الاول هو اظهار اعجاز القرآن الكريم وربط المسلمين به وصمم علي تكريس حياته لذلك. فقرر انشاء جامعة اسلامية في شرق الاناضول، اراد تسميتها "مدرسة الزهراء" فرحل الى استنبول اول مرة وبقي بها سنة ونصف سنة محاولاً

جهده اقناع المسؤولين بذلك، ولكن بدون جدوى. فرجع الى وان مدرسا ودارساً.

3- سعيد القديم "1907 - 1926"

وفي سنة 1907، قرر بديع الزمان الرجوع الى استنبول واستقر بمنطقة الفاتح بخان الشكرجي. وعمل هناك علي اجابة الناس على اسئلتهم وتعليمهم ما علمه الله من شؤون دينهم، فقصده كبار القوم من العلماء والاساتذة والطلاب.

وفي هذه السنة ابتدأت من جهاد بديع الزمان المرحلة التي سماها هو نفسه بايام "سعيد القديم". وفي هذه المرحلة رأى سعيد النورسي ان اولوية الجهاد هي في الدخول في الحياة السياسية ومحاربة التيار المعادي للاسلام بالقول والعمل ونصح اولي الامر خاصة السلطان عبد الحميد، وذلك بكتابة المقالات وتكوين التجمعات.

فاستاذن بديع الزمان في مقابلة السلطان ، فاستقبله في قصر يلدرز ، وقام بنصيحة السلطان عاملاً بمواجبه الاسلامي في ذلك . فعدت حاشية السلطان ذلك تجرؤاً عليه. واحالته على المحكمة العسكرية، فقررت المحكمة وضعه في مستشفى المجانين من اجل ذلك. فعندما لم يفت هذا التعذيب من عزيمة بديع الزمان، حاولت الحكومة تليينه بالمال، فرفض ان يبيع ضميره بعارض الدنيا. ولم تجد الحكومة بدا من اطلاق سراحه.

فتوجه بديع الزمان الى سلانك، وقابل شخصيات الاتحاد والترقي، ناصحاً لهم، وآمراً لهم بالمعروف ونهايا عن المنكر. فعندما وجدهم معادين للاسلام، صاممين آذانهم لكل نصح ، علم انهم من النفوس الضائعة ورجع الى استانبول.

وفي استانبول تابع جهاده، خاصة بعد اعلان " المشروطة الثاني " في الدولة العثمانية سنة 1907، فنصح خاصة القوم وعامتهم عبر كتابة المقالات، والقاء الخطب موضعاً مفهوم الحرية في الاسلام، ومطالباً بتحكيم شرع الله، كما ساند بخطبه تشكيل جمعية "الاتحاد المحمدي" سنة 1909.

وفي نفس الشهر من سنة 1909 "نيسان"، ثارت الكتيبة التي ارسلها الاتحاديون من سلانك الى استنبول لحماية المشروطة، مطالبين بالرجوع الى الشريعة الاسلامية. ففضى الجيش على هذه الثورة، وعزل السلطان عبد الحميد، واعلنت الاحكام العرفية، وشكلت محكمة لمحاكمة المسؤولين عن الثورة، فانقذ الله بديع الزمان من الحكم عليه بالاعدام، رغم شجاعة موقفه وبرئ من التهم التي الصقت به.

فقرر بديع الزمان الرجوع الى شرق الاناضول، واستقر بمدينة وان سنة 1910م ، وجعلها مركز تجواله في المدن والقرى المجاورة، مرشداً ومحاضراً وداعياً، كما عمل على الكتابة والتأليف، فألف كتاب "المناظرات" الذي طبع في استنبول سنة 1913م.

وفي شتاء سنة 1911، زار مدينة دمشق، وخطب على المسلمين في الجامع الأموي بها، مبيناً العوامل التي ادت الى انحطاط الامة، ولخصها في ستة عوامل وهي: اليأس والكذب والشقاق وضعف الرباط الاسلامي واستبداد ذوق الامر والتهافت على المصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة. ثم زار بيروت ومنها رجع الى استنبول بحراً.

وفي استنبول عمل بديع الزمان مرة اخرى على اقناع السلطان محمد رشاد على انشاء جامعة الزهراء، ووعده السلطان بالاستجابة لرغبته. لكن الحرب العالمية الاولى قتلت المشروع في المهد.

فانقلب جهاد بديع الزمان من المهم وهو الجهاد السياسي بالقلم والكلمة الى ما اصبح الاهم وهو الجهاد بالسلاح ضد العدو.

ففي سنة 1912 عين بديع الزمان قائداً للقوات الفدائية المكونة من المتطوعين المسلمين القادمين من شرق الاناضول. وقبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، سنة 1914، اصبح بديع الزمان عضواً في "التشكيلات الخاصة" التي شكلها السلطان كمؤسسة عسكرية سرية لمحاربة اعداء الامة والمحافظة على وحدة التراب الوطني. وكان في هذه المؤسسة عدد من علماء الاسلام الذين نشروا مع بديع الزمان فتوى بوجوب الجهاد. ورغم ان بديع الزمان كان يعارض فكرة دخول الدولة العثمانية الحرب، غير انه عندما وقع ما وقع قام بواجبه بكل قوة وشجاعة وايمان. ورجع بديع الزمان الى وان حيث كون فرقةً جهادية من طلابه، دربهم على السلاح ، فابلوا البلاء الحسن في الدفاع عن المسلمين من عصابات الارمن التي كانت تود طردهم من المنطقة. وقاد سعيد النورسي في المعركة طلابه ضد جيوش روسيا الغازية، خاصة بعد ان دخل العدو مدينة ارضروم. وفي نفس الوقت كتب بديع الزمان كتابه المسمى "اشارات الاعجاز في مضان الايجاز" باللغة العربية.

وعندما دخل الجيش الروسي مدينة بتليس، دافع عنها بديع الزمان مع طلابه دفاعاً شديداً ، فجرح واسره الروس وارسلوه الى شرق روسيا. وبقي بديع الزمان في الاسر سنتين واربعة اشهر كاملة محتسباً الله فيما ابتلي به، محافظاً على كرامته وعزته، مما كاد يودي بحياته، فلم يهن. وقد

يسر الله له الخروج من الاسر بعد الثورة البلشفية، فهرب من السجن ملتحقاً بوارسو، ثم فيينا فاستتبول. ويُعدُّ خروجه من برائن العدو بهذه الصفة، كرامة له من الكرامات التي من الله عز وجل عليه بها استجابة لدعائه وتضرعه.

وفي استتبول، وجد نفسه قد عين عضواً في "دار الحكمة الاسلامية" التي كانت بمثابة اكااديمية العلوم التي تجمع كبار علماء الدولة، فاستعمل المرتب الذي كان يتقاضاه ليطلع كتبه، ثم يوزعها مجاناً على المسلمين ابتغاء وجه الله.

وكانت سنوات عصيبة، انهارت فيها دولة المسلمين، واخذ العدو اطرافها، بل احتلت القوات الانجليزية مدينة استانبول سنة 1920.

فرجع بديع الزمان الى الجهاد بالقلم اذ ألف كتابه "الخطوات الست"، واخذ يوزعه سراً عبر محبيه وطلابه على عامة المسلمين. يهاجم بديع الزمان في هذا الكتاب العدو الانجليزي، ويقوي معنويات المسلمين، ويرد على الشبهات التي اثارها العدو حول الاسلام، وبصفة عامة يحارب اليأس في النفوس ويستنهض الهمم. وقاوم بديع الزمان النعرات القومية المشتتة للمسلمين، ورفض ان يكون طرفاً في تأسيس دولة كردية تقطع اوصال ما تبقى من الدولة العثمانية. وقد شارك مع علماء آخرين في كتابة فتوى تشجع مقاومة الاحتلال، رادا بها على فتوى شيخ الاسلام الذي اجبره المحتلون على اصدار فتوى ضد المقاومة.

وقد اشتهر صيت بديع الزمان بوطنيته، ومقاومته للمحتلين، فدعاه مصطفى كمال الى انقرة بالحاح. فالتحق بها في سنة 1922. ولكنه ذهل عندما رأى عدم اكرات نواب الامة بالصلوات، فطبع بيانا بتاريخ 1922/1/19، ينصح فيها النواب، ويحذرهم من يوم عظيم ان هم لم يرجعوا الى الله. فاستجاب له عدد كبير منهم. غير ان هذا لم يرض من خططوا للبلاد طريقاً آخر، وعدوه بعمله هذا مفزقاً للامة. وعندما رأى ما لا يعجبه في هذه المدينة، ومنع من الدعوة الى الله، قرر الرجوع الى وان سنة 1923.

وفي هذه الاثناء تابع بديع الزمان جهاده بالنشر والتأليف، اذ نشر كتاب "اشارات الاعجاز" ثم في سنة 1922 كتاب "قزيل ايجاز في المنطق" وكتاب "السنوحات"، وفي سنة 1923، نشر عدداً من الرسائل، كما الف عدة كتب في انقرة. وفي كل هذه الرسائل، يركز بديع الزمان على عقيدة لا اله الا الله محمد رسول الله، متصدياً بذلك لموجة الكفر والاحاد والمروق عن الدين التي اصبحت تتحكم في البلاد.

وصادف ان اندلعت ثورة عارمة في الاقاليم الشرقية من تركيا بقيادة الشيخ سعيد بيران ، احد كبار العشائر الكردية. وكانت هذه الثورة معارضة للاتجاه الجديد في الدولة الرامي الى الابتعاد عن الاسلام وشعائره. ولم يوافق بديع الزمان على هذه الثورة، تحاشياً لاراقة دم المسلمين. ولكن رغم ذلك لم ينج بديع الزمان من انتقام الدولة، ففي سنة 1925، اعتقل الشيخ ونقل الى استنبول، ومنها الى بلدة بوردور، ثم اسبارطة، ثم نقل الى بارلا النائبة حيث قرروا نفيه، وخصص لاقامته بيت صغير.

وكانت تلك الايام من سنة 1926 من اسوأ ايام تركيا المسلمة، حيث انتشر العداء الصريح للاسلام واهله. وهناك ابتدأت مرحلة جديدة مؤلمة في حياة بديع الزمان سعيد النورسي، رافقتها مرحلة جديدة من جهاده رحمه الله.

4- سعيد الجديد "1936 - 1949"

اطلق الاستاذ سعيد النورسي نفسه على هذه المرحلة باسم مرحلة سعيد الجديد. اصبح الجهاد السياسي في هذه المرحلة مستحيلاً لما اصاب المسلمين من اضطهاد، ولتسلط اعداء الاسلام في كل مجال، حتى اصبح بديع الزمان يقول ويكرر: "اعوذ بالله من الشيطان ومن السياسة". فكرس جهاده في الدرجة الاولى على "انقاذ الايمان" في نفوس الاجيال الصاعدة. ومر الاستاذ في كل هذه الحقبة من "مدرسة يوسفية" الى اخرى، وهو الذي اطلق هذا الاسم على السجون التي كان يزوج فيها ظلماً وعدواناً. وركز على كتابة "رسائل النور" في ظروف صعبة جداً، وهي رسائل تهتم قبل كل شئ بالنواحي الايمانية والقضايا الاعتقادية.

قضى الاستاذ بديع الزمان في منفاه ببارلا، من اعمال اسبارتا، ثماني سنوات ونصفاً، اي الى سنة 1934، منقطعاً عن الخلق، معتل الصحة، مراقباً في حركاته وسكناته، فلم تضعف ارادته. فتابع جهاده، هذه المرة بالقلم. وكفى الاستاذ ان يكتسب من بين الاهالي تلميذاً واحداً اسمه سليمان ، استطاع ان يكسر جدار الخوف ويتصل بالاستاذ، فتلمذ عليه، واصبح حلقة وصل بينه وبين الآخرين. وصرف الاستاذ وقته في كتابة "رسائل النور"، التي كانت هي بداية اتساع حلقة تلاميذه الذين يستسخونها وينشرونها في انحاء تركيا، متحملين كل المخاطر من متابعة ومطاردة. فكان الاستاذ يملي رسائله على احد طلابه، فتداول النسخة الاصلية بين التلاميذ، فيستسخونها ويرجعونها للاستاذ لتدقيقها وتصحيحها. وكان الاستاذ يملي من ذاكرته ووجدانه، اذ لم تكن له كتب ولا مراجع في ذلك المنفى النائي.

وكان الاستاذ يصير على استعمال الحروف العربية التي منعت، وبدلت بالحروف اللاتينية، ومنع الطبع والنشر وحتى الكتابة الشخصية بها. فعندما انتبهت الحكومة ان "رسائل النور" تنتشر في القرى والبوادي، اخذت تلاحق طلاب بديع الزمان وكأنهم مجرمون، فتداهم بيوتهم وتفتشها. ولكن ذلك لم يخفهم ولم يضعف عزيمتهم.

وفي سنة 1932، منعت الحكومة الاذان باللغة العربية، ولكن اصر الاستاذ على الاذان الشرعي في مسجد بارالا الصغير الذي كان يصلي فيه. فلم يعجب ذلك المسؤولين، فسجنوا عدداً من اهل القرية، وقرروا اخراج الاستاذ منها سنة 1934.

فذهبوا به الى اسبارطة حيث تابع كتابة رسائل النور. وفي سنة 1934، داهمت الشرطة منزله، واعتقلت الاستاذ وكتبته، واعتقلت مائة وعشرين من طلبته، ووضعتهم في الاكبال كذلك، وسأقت الشرطة الجميع الى سجن مدينة اسكي شهر، حيث حوكموا بتهمة تشكيل "جمعية سرية" تعادى النظام. ووضع الاستاذ في سجن انفرادي، وركزوا على مضايقته للنيل من معنوياته، فما لان ولا استكان. واستمر في سجنه في كتابة "رسائل النور" ورغم انه لم يثبت على الاستاذ، ولا على طلبته، ما اتهم به، حوكم بالسجن 11 شهراً بسبب رسالته عن "تستر النساء".

وبعد انتهاء مدة سجن بديع الزمان في اسكي شهر لم يتركوه، بل نقلوه مخفوراً الى بلدة قسطنوني سنة 1936، حيث سجن ثلاث اشهر في مخفر الشرطة، ونقل بعدها الى بيت صغير في الاقامة الجبرية. ومكث الاستاذ منفياً في قسطنوني سبع سنين اخرى، تابع فيها كتابة "رسائل النور" ومراسلة طلابه بشتى الوسائل السرية. فتنقل رسائله سرا من قسطنوني الى المدن والقرى، وتستنسخ مئات الآلاف منها، حتى انتشرت في انحاء البلاد. ولم ينج الاستاذ من مضايقات ولاية قسطنوني بسبب لباسه، خاصة العمامة التي كانت منعت بقانون سنة 1925.

وفي صيف سنة 1943، دست الشرطة السم لبديع الزمان، فمرض مرضاً كاد يقضي عليه. وابان مرضه، وهو وحيد، دخلوا عليه بيته وفتشوه تفثيشاً دقيقاً. ثم رجعوا مرة اخرى، وساقوا الاستاذ مخفورا الى انقره مع 126 من طلابه، جمعوه من مختلف مدن تركيا، وحاكموه مرة اخرى بتهمة تأليف جمعية سرية. ومن انقره، نقلت الشرطة بديع الزمان الى اسبارطة، ومنها الى مدينة دنيزلي، حيث اودع في سجنها تسعة اشهر حيث كتب رسالة "الثمرة". وكان يكتب الرسالة على قصاصات يضعها في علب الكبريت، ويرميها خفية من شباك السجن الانفرادي الذي زج فيه، فيتلقاها طلابه ويستنسخونها.

وجدير بالذكر ان الاستاذ سجن في دنيزلي رغم تبرئة المحكمة له. وبعد انتهاء مدة السجن التي قضاه، قرروا في آب سنة 1944 نفيه الى امير داغ، من اعمال ولاية افيون. فوضعه في الاقامة الجبرية، ووضعوا على باب بيته حارسا يحرس تحركاته ليل نهار. وفي امير داغ كذلك دسوا له السم في الطعام، فانقذه الله بعد اسبوع من المرض والآلام.

ولم تترك الشرطة الظالمة هذا الشيخ حتى ابان اقامته الجبرية، بل داهموا بيته في مهل سنة 1948 وبيوت 15 من طلابه، وسيقوا جميعاً الى سجن مدينة افيون، كما اعتقلوا في المدن المجاورة 54 من طلابه. وكانت التهمة هذه المرة كما سبق: تأسيس تنظيم سري. وقد حكمت محكمة الطاغوت على الاستاذ ظلاماً بالسجن لمدة 20 شهراً. لكن محكمة الاستئناف ابطلت هذا لاحكم. ورغم ذلك لم يخرج الاستاذ من سجنه الا بعد انتهاء هذه المدة، مع السجن الانفرادي والمعاملة السيئة القاسية. وتابع بديع الزمان جهاده في هذا السجن بالكتابة، وهدى الله على يديه اعداداً كبيرة من الخلق، واخرج من هذا السجن في 1949/9/20.

وبخروج الاستاذ من سجن افيون، فتحت له آفاقاً دعوية جديدة، وذلك لتغير الوضع في تركيا تغيراً جذرياً.

5- سعيدا الثالث "1949 - 1960":

واطلق الاستاذ على هذه المرحلة اسم مرحلة سعيد الثالث. وتتميز هذه المرحلة بعودة الاحزاب السياسية الى البلاد، واقضاء "حزب الشعب الجمهوري" عن الحكم بارادة شعبية، وهو الحزب المعادي بدون هوادة للاسلام واهله، والذي يتحمل المسؤولية العظمى في الدنيا والآخرة في ملاحقة اهل الله ومطاردتهم وتعذيبهم وتقتيلهم وسجنهم ونفيهم، ومن اعظمهم جهاداً وايماناً بديع الزمان النورسي. ففاز في الانتخابات "الحزب الديمقراطي" المعارض، فرجعت للبلاد بعض الحريات الذي قضى عليها الحزب المنهزم. فاصبح بإمكان سعيد النورسي القيام بنوع جديد وفعال من الجهاد، وهو التدريس الجماعي لرسائل النور، ونصح اهل السياسة والحكم، ودعوتهم الى طريق الاسلام السوي.

فبعد خروج بديع الزمان من سجن افيون، مكث بها في الاقامة الجبرية المحروسة شهريين، وبقي معه بعض طلبته لخدمته. وفي تلك السنة راجت رسائل النور رواجاً كبيراً، اذ سمح بطبعها "على جهاز الرونيوي"، فانتشرت في المدن والقرى؛ ناشرة الايمان في قلوب المؤمنين. وبينما كانت محكمة افيون تحاول منع انتشار رسائل النور، انتصر الحزب الديمقراطي،

فاصدر عفوا عاما في البلاد، واغلق قضية مطاردة رسائل النور. فتوجه الاستاذ سعيد النورسي مع جماعة من طلابه الى مدينة اميرداغ، لأول مرة منذ ربع قرن حرا طليقا، حيث مكث بها سنتين. ثم توجه الى اسكي شهر سنة 1951 محفوا بطلابه، ثم الى اسبارطة حيث بقي عشر اسابيع حيث تابع نشاطه التاليفي.

وفي تلك الاثناء، قام احد طلاب الاستاذ بطبع رسالة "مرشد الشباب" بالحروف اللاتينية، فاقامت الدولة دعوى ضده بتهمة الدعوة الى اقامة دولة على اسس دينية. فاستدعت المحكمة الاستاذ للمثول امامها في مهل سنة 1952. فحضر الاستاذ محفوا بمئات من طلابه وامتلت قاعة المحكمة بالجماهير. وبعد ثلاث جلسات اصدرت المحكمة حكمها بالبراءة.

فرجع الاستاذ الى اميرداغ. ولكن في هذه الاثناء، استغلت القوى المعادية للاسلام محاولة اغتيال احد الاشخاص المعروفين بعدائهم للاسلام وللأمة التركية، فقررت اغلاق جميع المجالات والجرائد الاسلامية واعتقال العاملين بها، ومن بينهم عدد من طلبة النور، فحوكموا في مدينة صامسون، وانتهت محاكمتهم بالبراءة. ولكن اثيرت قضية اخرى في مدينة صامسون ضد الاستاذ بديع الزمان بسبب مقالة نشرت في جريدة "الجهاد الاكبر" تحت عنوان "اكبر برهان"، وبرأته المحكمة هو كذلك.

ثم سافر الاستاذ الى استنبول حيث مكث ثلاثة اشهر. ثم رجع الى اميرداغ، ثم اسكي شهر فاسبارطة، ومنها توجه مع جماعة من تلامذته الى بارلا حيث استعاد ذكريات النفي والوحدة والجهاد بالقلم.

وفي انتخابات سنة 1957 العامة ساند الاستاذ وطلابه الحزب الديمقراطي ضد منافسه حزب الشعب الذي ذاقت الامة تحت حكمه الشدائد.

ثم استقر الاستاذ في مدينة اسبارطة ومعه عدد من طلابه، مجاهداً بالقلم واللسان، معلما ومدرسا وواعظا ومنذرا، يزور احيانا بارلا وحيانا اميرداغ، ويمكث في الفراش اياما بسبب تقدمه في السن. وقد تألم لاعتقال كل من كان في خدمته من طلابه في انقرة واستنبول واسبارطة، وذلك سنة 1958.

وفي آخر سنة من حياته، قام الاستاذ بزيارة انقرة واميرداغ وقونية واستنبول واسبارطة وكأنه يود توديع طلابه. فقامت الجرائد المعادية للخير بشن حملة ضده بسبب هذه الرحلات، وقد ازداد عليه المرض، فطلب من طلابه ان ينقلوه الى اورفة رغم مرضه، وكأنه اراد ان يكون

مثنواه الاخير بها، ففعلوا بعد تردد . وعندما وصل الاستاذ الى اورفة، قامت السلطات بأمره بالخروج عنها، وهو يحتضر . و اراد الله عز وجل ان يرفع من درجاته ، اذ امتحن بالمطاردة حتى وهو على فراش الموت. فانتقل الى الرفيق الاعلى يوم 25 رمضان عام 1379 هـ “موافق 1960/3/23”، رحمه الله رحمة واسعة، وألحقه بالرسول المختار والصحابة الكرام والنبیین والصدیقین، وجزاه الله خير جزاء على جهاده من اجل اعلاء كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله. ودفن بديع الزمان بمقبرة “اول جامع” بمدينة اورفة. لكن اعداء الله استكثروا عليه الراحة حتى بعد وفاته، فارادوا طمس قبره، ظانين انهم بذلك سيشتتون اتباعه. فنقلوه ليلا بعد بضعة شهور الى قبر مجهول. ولكن كيف سيمكن لهؤلاء الظلمة ان يعرفوا ان مثنوى هذا المجاهد العظيم هو في قلوب محبيه وطلابه الذين اهدتوا بهدي الاسلام عن طريق كتبه وجهاده ، وان روحه الطاهرة خرجت من سجن الدنيا الى حرية الآخرة. فنعم المجاهد ونعم الاتباع.

6- الخاتمة

نرى من هذه الدراسة المختصرة ان حياة الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي كانت جهاداً متواصلاً ومنذ وعى الى ان اختاره الله الى جواره ، وذلك مهما تنوعت الاوضاع واختلفت الاحداث. بل كان جهاده يتنوع بتنوع هذه الاحداث، وهدفه الاول والاخير هو خدمة هذا الدين بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الايمان بالله عز وجل . ومن عظمة بديع الزمان انه كان دائما يجد طريقة الى الجهاد، فهو لا يهون ولا يضعف ولا يتردد، وهو مؤكد ان الاسلام دائما على حق واعدائه على باطل، وهو دائما يحدد اولوياته ، فيكون جهاده هي الطريقة الافضل لمواجهة الوضع القائم. وهو لا يتذمر مما اصابه الله من امتحان ، ويحتسب ذلك لوجه الله عز وجل، ويتصرف موقنا ان هذه الدنيا فانية، فهو اخرجها من قلبه الذي عمره بحب الله. ومن عظمة بديع الزمان سعيد النورسي انه اتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل جهاده، فهو يحب كل امة الاسلام ولا يحقد على من ظلمه منهم ولا يعاديهم، فهو يتمنى لمن ظلموه الخير كله والهداية والرجوع الى الطريق السوي، ويرفض اسالة دم المسلمين مهما تأوا عن الطريق السوي. فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عن امة الاسلام خير الجزاء، فهو لم يعيش ليرى نتيجة جهاده، ولكن روحه الطاهرة في جنة النعيم سعيدة، وحسناته دائما في زيادة بما لكتابته من تأثير متواصل في رجوع الناس الى هدي الله عز وجل، فهو ترك علما ينتفع به، يجازي عنه الى يوم الدين ، كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* أ. د. علي الكتاني: ولد سنة 1941 في تونس، متخصص في الطاقة الكهربائية، درس في فرنسا ثم اكمل دراسته في دمشق وفي سنة 1963 تخرج مهندساً كهربائياً. عمل مهندساً للطاقة النووية، التحق بمعهد التكنولوجيا في بطرسبرغ. نال شهادة الدكتوراه في سنة 1966 في فيزياء البلازما. درس في جامعات عالمية في الولايات المتحدة الأمريكية وجامعة بطرسبرغ وجامعة الملك فيصل. واصبح رئيساً لمؤسسة العلم والاسلام والتكنولوجيا، وحالياً عميد جامعة قرطبة في اسبانيا. وهو من الشخصيات النادرة في اختصاصه حول شؤون الاقليات الاسلامية في العالم ونشر كتاباً في هذا الموضوع باللغة العربية والانكليزية. وله مقالات عديدة في هذا الشأن. فضلاً عن كتبه المنشورة: 1- المسلمون في امريكا واوروبا. 2- البعث الاسلامي في اسبانيا.